2022/2/20

السنة الثانية: ليسانس جدع مشترك

مقياس: الجغرافية السياسية

المحاضرة رقم 1: الجغرافية السياسية/ المفهوم والمناهج.

ترتبط الجغرافية السياسية ارتباطا وثيقا بعلم السياسية حيث يعتمد الباحث في دراسته للظاهرة السياسية سواء كانت الدولة أو خارجها بالفكر الجغرافي الذي يساعد على تحليل ما يحدث من تفاعلات سياسية في ضوء العوامل الجغرافية الهامة في العالم، وانطلاقا من كون وحدة التحليل الرئيسية في الجغرافية السياسية هي الدولة، فإنه لا يمكن فصل هذا المجال عن العلوم السياسية وحقل العلاقات الدولية، التي تعتبر الدولة كفاعل رئيسي في فهم طبيعة الظاهرة السياسية ومن ثمة التنبؤ بمستقبلها، خاصة إذا سلمنا أن الجغرافية السياسية في تطورها قد ارتبطت بتوظيف العناصر الجغرافية في بناء قوة الدولة، ونحن نعلم أن مفهوم القوة هو من المفاهيم المركزية في علم السياسة خاصة في حقل العلاقات الدولية، حيث لا يمكن فهم توجه الدول التي تبحث عن القوة والنزاعات الدولية والحروب إلا بالرجوع إلى المكونات الجغرافية لتلك الدول والبيئة الجغرافية للأقاليم والمناطق التي تحدث فيها النزاعات الدولية.

أولا: مفهوم وتطور الجغرافية السياسية:

1-مفهوم الجغرافية السياسية: تعد الجغرافية السياسية من أهم الفروع المتخصصة في علم الجغرافية، حيث تهتم بدراسة العلاقة بين الجغرافية والدولة، فضلا عن كونها أحد فروع الجغرافية البشرية التي تختص بدراسة علاقة الجغرافية بالإنسان والمجتمعات.

قدمت عدة تعاريف للجغرافية السياسية من بينها:

يعرفها قاموس أوكسفورد للجغرافيا بأنها التحليل الجغرافي للظاهرة السياسية، تهتم بالتعبير الجغرافي عن الظواهر السياسية.

يعرفها "هارتس هورن"-1935-،على أنها علم دراسة الدولة كمساحة متغيرة بالنسبة لغيرها من المساحات المتميزة الأخرى.

يعرفها "دوجلاس جاكسون"-1964-، بأنها العلم الذي يهتم بدراسة الظاهرة السياسية في أبعادها المساحية.

يعرفها "هانس ويجرت Hans Weigert "، بأنها أحد فروع الجغرافيا البشرية التي تبحث في دراسة العلاقة بين الإنسان والأرض مع التأكيد على إيضاح العلاقة بين العوامل الجغرافية والمتغيرات السياسية.

من الواضح أن مجمل التعريفات السابقة تشترك في تركيزها على متغيرين إثنين هما: الظاهرة السياسية ممثلة بالدولة من جهة والبيئة الجغرافية من جهة أخرى، أي علاقة التأثير والتأثر بين الجغرافية والسياسة، وعلى أساس من ذلك يمكن تلخيص الإهتمامات الأساسية للجغرافية السياسية في العلاقة المتبادلة بين السكان، الدولة، الأرض.

ومهما تعددت تعاريف ومفاهيم الجغرافية السياسية تبقى الوحدة الرئيسية في تحليل هذا المجال هي الدولة أو الوحدات السياسية في تفاعلها مع السلوك الإنساني في ظل بيئة جغرافية تؤثر وتوجه في أغلب الأحيان السلوك السياسي لكل من الدولة والإنسان.

2-تطور الجغرافية السياسية: ارتبط تطور الجغرافية السياسية بمختلف المراحل التاريخية التي عرفت نشوء الدولة، حيث اهتم الفلاسفة منذ القدم بتفسير علاقة البيئة الجغرافية بالظواهر السياسية والسلوك السياسي والبشري داخل الوحدات السياسية القديمة، ولعل من أبرز هؤلاء الفلاسفة الذين اهتموا بهذا المجال نجد الفيلسوف "ارسطو" الذي ربط تأثر السلوك البشري بالبيئة الطبيعية، بحيث اعتبر أن الذكاء وكل المهارات التي يمتلكها البشر والنشاط الذي يقومون به على علاقة وطيدة بنوع المناخ السائد، أما بالنسبة للدولة فقد اعتبر "ارسطو" أن طبيعة الإقليم وخصائصه الجغرافية قد تجعل منه مركزا سياسيا مؤثرا في الوحدات السياسية الأخرى، ولهذا أعتبر أن الجبال المحيطة بـــ "أثينا" كانت دوما بمثابة حصنا منيعا من الغزوات الخارجية، ولذلك دعى بأن تكون أثينا عاصمة روما.إضافة إلى إقراره بأهمية توفر واجهة بحرية تسمح للدولة بممارسة نفوذها عن طريق سيطرتها على التجارة الخارجية.

وفي نفس المرحلة اهتم أفلاطون ببعض الموضوعات التي ترتبط بالجغرافية السياسية، حيث كان يرى بأن الخصائص الجغرافية قد سمحت لـــ "أثينا" بأن تكون الوحدة السياسية المناسبة لتجميع السكان، كما اعتبر أن نشأة الدولة ووحدتها تتحقق من خلال ترابط سكانها وتجمعهم.

ما يلاحظ على هذه المرحلة التاريخية هو سيطرة الحتم الجغرافي على الأفكار الجغرافية للفلاسفة الإغريق، حيث ارتبط تفسير ظواهر الجغرافية السياسية بالظواهر الطبيعية.وقد استمر الحتم الجغرافي إلى غاية ظهور "ابن خلدون" الذي اعتبره الأوروبيون مؤسس الجغرافية السياسية، خاصة لما أقره في كتابه الشهير "المقدمة" بعلاقة البيئة الجغرافية في نشأة الدولة وأثر السلالة البشرية في تلك النشأة، فضلا عن تركيزه على أثر المناخ في سلوك المجتمعات البشرية وتطور بناء حضاراتها.

وفي أعقاب عصر النهضة برز لدى الكثير من المفكرين أفكار عن الجغرافية السياسية التي ظلت متأثرة بمرحلة الحتم الجغرافي ومن أبرز تلك الأفكار نجد كتابات "جون بودان" و "مونتسكيو" التي ركزت على الحتمية البيئية في التركيب السياسي للدول وطبيعة الأنظمة السياسية، حيث أقر "بودان" بتأثير جغرافية الدولة وخصائصها المناخية على تحديد ملامح الشخصية القومية للدولة، أما "مونتسكيو" فقد افترض وجود علاقة سببية بين المناخ والحرية السياسية والعبودية، ولذلك وضع نموذجا سياسيا جغرافيا قائما على فكرة أن الأنظمة السياسية الديموقراطية التي تتحقق فيها الحرية تكون في المجتمعات البعيدة جغرافيا عن خط الإستواء مقارنة بالمجتمعات الواقعة على طول هذا الخط، وكنتيجة لذلك فإن المجتمعات والدول الباردة في الشمال بالضرورة تسود فيها الديموقراطية والحرية، على عكس المناطق الجغرافية الحارة التي تتسم دولها ومجتمعاتها بالإستبداد والعبودية.

أما المرحلة الثانية من تطور الجغرافية السياسية فقد برزت على يد المنظر الألماني "فدريك راتزل" Friedrich Ratzel في القرن 19، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لهذا المجال، خاصة لما انتقل إلى دراسة الأساس الجغرافي للدولة معتبرا في كتابه الشهير "الجغرافية السياسية" العوامل الجغرافية بمثابة المحرك الرئيسي لنمو الدولة، وأن الحدود قابلة للنمو، ما مهد لبروز نظرية المجال الحيوي. وقد كانت أفكار "راتزل" بداية لظهور الفكر الجيوبوليتكي في ألمانيا، والذي جسده المفكر "هاوسهوفر"، بحيث تطورت مفاهيم الجغرافية السياسية عند الألمان إلى دراسة علاقة الأرض ذات المغزى السياسي بالإطار الجيوبولتيكي الذي تتحرك فيه الأحداث السياسية، وهكذا ارتبطت الجغرافية السياسية بالفكر الجيوبولتيكي الذي أصبح يهتم بدراسة الدولة من الناحية السياسية في إطار دينامكي على أساس أن الوحدات السياسية أصبحت كائن حي ينمو ويتطور بواسطة التوسع عبر المجال الحيوي.

وبذلك أصبحت الجغرافية السياسية في ظل هيمنة الأفكار الجيوبولتيكية تركز على دراسة الأقاليم السياسية، والحدود السياسية ومسألة التوسع عبر الحدود، ومن ثمة سميت هذه المرحلة في تطور الجغرافية السياسية بمرحلة دراسة الأقاليم.

وقد ظل هذا الفكر مسيطرا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية التي أدت لبروز تطور كبير في الجغرافية السياسية، حيث ظهرت في 50 من القرن العشرين كتابات جديدة في هذا المجال ركزت على دراسة الوحدات السياسية، ومن أبرز الجغرافيين في هذه المرحلة "هارتس هورن" الذي ساهم في وضع إطار نظري للجغرافية السياسية معتمدا على النهج الوظيفي، بحيث يرى أن هذا المجال هو من صميم دراسة الدولة.

وفي أعقاب 70 من القرن العشرين، ومع تعدد الوحدات السياسية وتشابك تفاعلاتها وظهور ملامح العالمية والتكتلات الإقتصادية، إذ أصبح العالم يشكل وحدة جغرافية سياسية واحدة، شهدت هذه المرحلة بروز كتابات

عبرت عن تحولات تلك المرحلة فظهرت كتابات "جوتمان" الذي ركز على دراسة الحركة والإكنوجغرافيا في الجغرافية السياسية، الحركة تشمل وسائل النقل والإتصال وانتقال الأشخاص والسلع والأفكار. أما الإكنوجغرافية فتتضمن القوة المضادة للحركة التي تمثل قيم الماضي ووجهات النظر الإجتماعية. وبتركيز "جوتمان" على هذين الفكرتين في دراسة الجغرافية السياسية، فقد أصبح هذا المجال يراعي التحولات العالمية على كافة المستويات بما فيها الجانب الإقتصادي الذي قلص من أهمية الحدود السياسية والتوجه نحو التكتلات الجهوية، وبذلك ارتبطت الجغرافية السياسية بمفاهيم جديدة ولعل أبرز هذه المفاهيم مفهوم الجيواقتصاد، والجيوأمن والجيوثقافي، ومن ثم أصبح موضوع الجغرافية السياسية لا يتوقف على دراسة الدولة والحدود السياسية فقط، بل امتد إلى دراسة مستويات جديدة للسلطة تنافس الدولة كالأقاليم فوق القومية متمثلة في المنظمات الدولية الحكومية والتكتلات الإقليمية الجهوية.

ثانيا/ مناهج البحث في الجغرافية السياسية: يعتمد الباحث في دراسة للجغرافية السياسية على منهج علمي محدد حسب طبيعة الدراسة ووحدة التحليل الرئيسية التي يرتكز عليها سواء تعلق ذلك بالوحدات السياسية أو الأقاليم أو الحدود السياسية وحتى الأقاليم فوق القومية، وهو ما أدى إلى تعدد مناهج البحث المستخدمة في هذا المجال نذكر منها:

1-المنهج التاريخي: يرتكز المنهج التاريخي على الماضي من أجل تحليل الأحداث السياسية الحاضرة والبحث في جذور المشاكل ذات الطبيعة الجغرافية التي تؤثر في الحاضر، واغلب ما يخلص مستخدموا هذا المنهج في دراستهم إلى وضع قواعد ومبادئ عامة تخضع لها الدول في نموها وتوسعها، كما يمكن وصفه بأنه شكل من أشكال الحتمية التاريخية أو قوانين التاريخ. يتناول هذا المنهج دراسة نشأة الوحدات السياسية –الدول- ونموها والأساليب التي أعتمدت عليها في جلب أو ضم أقاليم جديدة وصولا إلى حدودها الراهنة منظورا إليها ككائن حي ينمو وينكمش، وتحدث هذه الدراسة على ضوء الظروف الطبيعية (جبال، أنهار، مناخ، تضاريس...)، وكذلك الظروف الحضارية (الإستعمار، الثورات...)، التي ساهمت في إستمرار أو توقف الدول عن النمو.

أبرز ما يعيب هذا المنهج هو اللجوء إلى إقرار قواعد عامة يراد لها أن تكون بمثابة مقاييس ومعايير تنطبق على جميع الوحدات السياسية، عبر مختلف حالات تطورها، وهذا قد يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، فالعامل الزمني له تأثير على المكان بينما لا يكرر التاريخ نفسه بالضرورة والظروف المتغيرة تقتضي بالضرورة إلى نتائج متغيرة.

2-المنهج المورفولوجي: يدرس هذا المنهج مشكلات الدولة السياسية من حيث الشكل وينظم ذلك تحت عنصرين أساسين هما: النمط والقالب، والتركيب أو البناء.

الأول: يعنى بالترتيبات والتنظيمات التي يكونها الإرتباط السياسي للوحدات والأقاليم التي تكون الدولة والإتجاهات والتحالفات العالمية.

الثاني: يشير إلى المظاهر المكانية التي تشترك فيها الوحدات السياسية مثل مراكز الثقل السكانية والإقتصادية داخل الدولة والعاصمة ومكونات الدولة والحدود السياسية ومشكلات خاصة بالدولة كخطط التنمية ومشكلات السكان والأقليات...

والمنهج المورفولوجي هو قريب للوصف أكثر من التحليل والتفسير، فهو يهتم بحجم الدولة وشكلها وموقعها وحدودها...وهو بذلك يقوم بدراسة الوحدة السياسية كحيز مساحي على خريطة العالم السياسية، كما يهتم أيضا بدراسة النظام السياسي للدولة والعناصر التي تجسد واقعيا وجود الدولة.

3-المنهج التحليلي: وهذا المنهج يستعمله الجغرافيون لتحليل طبيعة القوى السياسية على ضوء العناصر الجغرافية.يتسم هذا المنهج بالحركية وعدم التقيد بالنمطية والقوالب الجامدة. يهتم بالدراسة التحليلية لمكونات الدولة وإظهار نقاط القوة ومكامن الضعف فيها، وإيضاح طبيعة العلاقات التي تربط أجزائها من جهة والتي تربطها بالدول الأخرى من جهة أخرى.

وقد كان المنهج الرئيسي المستخدم في الجغرافيا السياسية الألمانية بما أدى إلى تطورها نحو الجيوبولتيك فيما بين الحربين العالمتين الأولى والثانية. ويعتمد المنهج التحليلي في دراسته كل من المقومات الطبيعية والبشرية ويقترح الطريقة المثلى لإستغلالها كما يلي:

أ-الجانب الطبيعي من مقومات قوة الدولة.

-دراسة طبيعة الموقع وأثره في قوة الدولة.

-دراسة التضاريس وتأثيرها على قوة الدولة.

-تأثير المناخ على عناصر قوة الدولة.

-دراسة أثر المسطحات المائية في تشكيل قوة الدولة.

ب-الجانب البشري من مقومات الدولة.

-دراسة سكان الدولة من حيث الحجم والخصائص.

-دراسة استغلال الإنسان لموارده الطبيعية.

-دراسة طرق النقل واتجاهات المواصلات في الدولة.

-دراسة النظام السياسي وأثره في القوة والتماسك.

ومن خلال تطبيقات هذا المنهج تظهر عدة مميزات خاصة بالدول وسياستها، يمكن مثلا الحكم على دولة ما من حيث هي ذات توجه قاري أو بحري وفقا لعوامل قوتها من الجانبين، باختصار هذا المنهج يتميز بالواقعية.

4-المنهج الإقليمي(الوظيفي): وهو المنهج الذي يطلق عليه أحيانا منهج المسرح السياسي، بحيث تبدو الوحدة السياسية كمسرح للأحداث، يقتصر هذا المنهج على ملاحظة ووصف الظواهر الطبيعية والبشرية التي تؤثر على الوحدة السياسية بإعتبارها المسرح السياسي الذي تتفاعل فيه العلاقة بين البيئة والسكان.

والباحث وفق هذا المنهج يستغرق أغلب جهده في دراسة عناصر البيئة في الدولة أو الإقليم المراد دراسته: الأرض، الموقع الجغرافي، ملامح السطح، المساحة، مراكز الثقل السياسي والإقتصادي...السكان من حيث طبيعة النشاط، التركيب، إضافة إلى النظام السياسي الداخلي وطبيعة سياساته الداخلية وعلاقاته الخارجية، فهو منهج يعتمد على الوصف أكثر من التحليل.

ثالثا/ الفرق بين الجغرافية السياسية والجيوبولتيك: على الرغم من أن الجيوبولتيك تطور من الجغرافية السياسية كما أشرنا سابقا، بعد تأثر الألمان بالفكر الجغرافي للمنظر "راتزل" الذي تبنى فكرة المجال الحيوي والتوسع الذي تأثر بها الفكر الجيوبولتيكي فيما بعد، وعلى الرغم من أن المدرسة الإمريكية لا تفرق بين الجغرافية السياسية والجيوبولتيك بحكم العلاقة الوطيدة بينهما، غير أن العديد من الباحثين في هذا المجال يقرون باختلاف الفكر الجيوبولتيكي عن الفكر الجغرافي، ذلك بإبراز مظاهر الإختلاف بين الإثنين ويستند هؤلاء الباحثين إلى اجتهادات المفكر "رودلف كيلين" الذي أسس مصطلح الجيوبولتيكا ليفرق بينه وبين الجغرافية السياسية، حيث أعتبر الجيوبولتيك بأنه التطبيق العلمي للجغرافيا السياسية في تحليل القوة القومية للدولة، كما فرق بين المجالين عالم الجيوبولتيك "هاوسهوفر" باعتباره الجغرافية السياسية تهتم بموضوع الدولة من وجهة نظر المجال، أما الجيوبولتيك فيركز على المجال من وجهة نظر الدولة.

وعلى العموم يمكن إبراز مظاهر الإختلاف بين الجغرافية السياسية والجيوبولتيك على النحو التالي:

1-الجغرافية السياسية تدرس كيان الدولة كما هو في الواقع، بينما يبحث الجيوبولتيك عن خطط واستراتجيات لما يجب أم تكون عليه الدولة.

2-الجغرافية السياسية ترسم صورة الدولة في الماضي والحاضر، أي تدرس المكونات الجغرافية للدولة حاليا في ضوء الماضي، بينما يرسم الجيوبولتيك حالة الدولة في المستقبل، بمعنى يحاول الفكر الجيوبولتيكي برسم سياسات الدولة في المستقبل اعتمادا على المعلومات التي يستقيها من الجغرافيا السياسية.

3-الجغرافية السياسية مجال قريب إلى الثبات والستاتيك، أما الجيوبولتيك فهو مجال متطور ومتحرك.

4-تعكس الجغرافية السياسية الصورة الحقيقية للدولة، في حين يبحث الجيوبولتيك في العلاقة بين الأرض والدولة وتدرس السياسات العالمية من وجهة نظر قومية محلية.

5-تعتبر الجغرافية السياسية مجال علمي يقوم على أسس علمية موضوعية يمكن من خلالها تقييم مسائل الدول والعلاقات الدولية تقييما موضوعيا قد يحقق السلم والتعاون، أما الجيوبولتيك يعتنق فلسفة القوة وغالبا ما تطغى عليه الذاتية، كونه يرسم الخطط الإستيراتجية التي تحقق السيطرة وبسط النفوذ قد تصل إلى صورة عنيفة تقود إلى حروب، كون الدولة في نظر الفكر الجيوبولتيكي كائن حي يجب أن تنمو وتتوسع على حساب الآخرين ولو باستعمال القوة العسكرية.

6-الجغرافية السياسية تعترف بالحدود القائمة بين الدولة وتدعو إلى احترامها، أما الجيوبولتيك لا يعترف بحدود ثابتة.